سهم المؤلفة قلوبهم

س: في الحلقة السابقة تحدثنا عن سهم «العاملين على الزكاة» وكان من دلالات هذا السهم أن الزكاة يجب أن تجمعها الدولة، حتى يكون هناك «للعاملين عليها»، سهم، بيد أن هناك ما هو أكثر في الدلالة من ذلك على وجوب قيام الدولة بجمع الزكاة وإنفاقها، إلا وهو سهم «المؤلفة قلوبهم» هل توضح لنا دلالة هذا السهم على جمع الدولة للزكاة؟

جـ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه وتابعيه أجمعين. وبعد.

فقبل الحديث عن دلالة سهم المؤلفة قلوبهم على ضرورة دور الدولة في الزكاة، يهمنا أن نوضح للمستمع الكريم من هم «المؤلفة قلوبهم، ولماذا يعطون من الزكاة؟» إن المؤلف قلبه، يشمل العديد من الأصناف، فهناك شخص قد دخل الإسلام ولما تستقر أحواله بعد، فيعطى من الزكاة، وهناك من يرجى إسلامه إذا رأى نفسه يستفيد من علاقته بالمسلمين، فيعطى من الزكاة، وهناك من هو في موقف التأثير في جماعته، فإذا أعطى من الزكاة، لم يقف في وجه من يريد الإسلام، وهناك ذوو الرأي الذين يمكن أن يدافعوا عن قضايا المسلمين فيعْطون من الزكاة، أي أن المؤلفة قلوبهم يعطون من أجل تمكين الإسلام في قلوبهم، أو قلوب غيرهم، ليسلموا إن كانوا غير مسلمين، أو يزدادوا إيماناً إن كانوا مسلمين، أو ليسلم غيرهم، ممن هم على شاكلتهم، فيعطون رغم حسن إسلامهم، وإجمالاً يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: كل من يرى المسلمون أن في إعطائه منفعة لنشر الدعوة يجوز أن ينفق عليه من هذا المصرف. بعد

هذا التوضيح الموجز لمفهوم المؤلفة قلوبهم، نتحدث عن دلالة هذا السهم على وجوب قيام الدولة بجمع وإنفاق الزكاة. فلما كان تأليف القلوب عمل لا يمكن أن يتم على المستوى الفردي، فليس لدى الفرد معرفة بالتيارات المعادية للإسلام، أو معرفة بأصحاب القدرة على نصرة الإسلام في العالم الخارجي، فهذا عمل لا يمكن أن تقوم به إلا دولة، ودولة على مستوى عال من الوعي والمعرفة بالظروف الدولية. فإذا جاء القرآن الكريم وجعل من سهام الزكاة سهماً ينفق في تأليف القلوب، فهذا يجعل الزكاة جمعاً وإنفاقاً من مهمات الدولة، حتى يمكن القيام بمهمة تأليف القلوب، فهذا الملحظ يضاف إلى غيره من الملاحظات التي تجعل الزكاة من مهام الدولة.

س: بعض الناس يجادل بأن سهم المؤلفة قلوبهم قد سقط بانتشار الإسلام وانتصاره، ولم نعد في حاجة إلى تأليف القلوب، كما كان في صدر الإسلام، ما مدى صواب هذا الرأي؟

ج: هذا القول كان يمكن التسليم به، لو كان الهدف من التأليف تحقيق مصلحة المسلمين فقط، غير أن الحقيقة تكشف أن الهدف من التأليف ليس مقصوراً على ذلك، بل إن من أهم أهدافه الإحسان إلى الشخص المؤلف قلبه، والعمل على إنقاذه من النار التي يلقى بنفسه فيها بكفره، فبدافع من الأخوة الإنسانية، وحباً في هؤلاء الأخوة، يتقدم المسلمون لإنقاذهم، وهذا المعنى هو ما يفهم من قول النبي ﷺ **«إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ»** وهذا ما يقرره بعض فقهاء المالكية بقولهم: إن العلة من إعطاء المؤلف من الزكاة، ليست إعانته لنا، حتى يسقط ذلك بفشو الإسلام وغلبته، بل المقصود من دفعها إليه، ترغيبه من أجل إنقاذ مهجته من النار. وهذا المعنى موجود ما بقي في الأرض شخص لا يؤمن بالله تعالى.

فتأليف القلوب ملحظ إنساني يهدف إلى خدمة المؤلف قلبه وتحقيق نفعه، وهو وسيلة من وسائل كثيرة للدعوة إلى الله تعالى.

س: هل أسقط سيدنا عمر سهم المؤلفة قلوبهم؟

ج: إن آية الصدقات من الآيات المحكمة التي لم يلحقها نسخ، ورحم الله تعالى من يقول إن عمر قد أسقط سهم المؤلفة قلوبهم، فهو لم يفهم دلالة فعْل سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولا يملك سيدنا عمر أو غيره أن يفعل ذلك، فهو لم يزد على أن منع جماعة بأعيانهم قد استمرؤوا الأخذ من الصدقات، وقد كان في ذلك محقاً فالتأليف ليس تقرير مرتبات لأشخاص بأعيانهم، وليس من كان مؤلفاً قلبه في وقت من الأوقات، يستمر إلى ما لا نهاية. إن تحديد أشخاص المؤلفة قلوبهم عمل من أعمال الدولة يرجع إلى ما تراه محققاً للمصلحة والهدف.

س: هل وظيفة التأليف مطبقة في أيامنا من غير مصارف الزكاة؟

ج: نعم معظم الدول المعاصرة تنفق نفقات قريبة من تأليف القلوب، فالمنح والمعونات الدولية، وتكوين جماعات الضغط في بعض البلاد للتأثير في سياسة بعض الدول لتتبنى قضايا معينة، وتنحاز إلى قضايا معينة، كل ذلك قريب الشبه من مهمة تأليف القلوب. ولا نبالغ إن قلنا: إن كل أصحاب الديانات الأخرى، وكل الدول الكبرى تقوم بإنفاق نفقات ضخمة على مهمات تشبه تأليف القلوب التي قررها الإسلام من ١٤ قرناً، ولما كنا قد تخلينا عن جمع وإنفاق الزكاة بواسطة الدولة، فقد فشلنا في تأليف القلوب، بينما نجحت دول أخرى في استقطاب الرأي العام العالمي ليقف مع قضاياها، ويتبنى وجهات نظرها. ونحن للأسف لا نجد لقضايانا مناصراً

من الرأي العام العالمي، حيث فشلنا في تأليف القلوب بالأسلوب التقليدي، وفشلنا في تكوين جماعات الضغط التي نجح غيرنا في تكوينها. ولنا أن نتخيل كيف سيكون حالنا لو أن ثمن (١/٨) الزكاة على مستوى العالم الإسلامي ينفق على أصحاب التأثير الإعلامي والسياسي في العالم المتقدم، لقد كنا سندرأ ضررهم ونجلب نفعهم، وندفع عن أوطاننا الكثير مما نزل بها، وكنا نجد لقضايانا المؤيدين الذين يقفون مع حقوقنا المشروعة. إن وجود سهم المؤلفة قلوبهم بين سهام الزكاة. توجيه إلهي للدولة الإسلامية كي تمارس دورها على المستوى الدولي، محققة به مصالحها، ومصالح من يدخل معها في علاقات ودية سلمية، فهو إعجاز تشريعي بالغ.

هذا والله الموفق